[](https://www.facebook.com/photo/?fbid=5567678403275032&set=a.1026565334053051&__cft__%5b0%5d=AZXBlwUnAGCOf_XgPEp0ZnjiQ7DTG_QrLY61Ujl3dvp4jQRBFVg2Y6dKbj95FQ4NYBOMswRq9_afMVgKOcfYx8qZZg8A83he27DcaJYQO0mUpkH0V_aLklWzLS4Vy_3JnT2dWutj8y3aayhUusItyTt2vkW8rs2G-Td4nmpV1M34Og&__tn__=EH-y-R)

[**Mahmoud Abd El Shakour**](https://www.facebook.com/mahmoud.abdelshakour.14?__cft__%5b0%5d=AZXBlwUnAGCOf_XgPEp0ZnjiQ7DTG_QrLY61Ujl3dvp4jQRBFVg2Y6dKbj95FQ4NYBOMswRq9_afMVgKOcfYx8qZZg8A83he27DcaJYQO0mUpkH0V_aLklWzLS4Vy_3JnT2dWutj8y3aayhUusItyTt2vkW8rs2G-Td4nmpV1M34Og&__tn__=-UC%2CP-y-R)

[5d](https://www.facebook.com/mahmoud.abdelshakour.14/posts/pfbid0Z4R4fhFM9SNbEDQ7R3WfS3cegze17M2jjsLawyKiA2wzo4hwpgWbP6Vr54asLZiCl?__cft__%5b0%5d=AZXBlwUnAGCOf_XgPEp0ZnjiQ7DTG_QrLY61Ujl3dvp4jQRBFVg2Y6dKbj95FQ4NYBOMswRq9_afMVgKOcfYx8qZZg8A83he27DcaJYQO0mUpkH0V_aLklWzLS4Vy_3JnT2dWutj8y3aayhUusItyTt2vkW8rs2G-Td4nmpV1M34Og&__tn__=%2CO%2CP-y-R)  ·

مقالي اليوم في جريدة الشروق عن رواية "ايام الشمس المشرقة" لميرال الطحاوي .. رابط المقال في أول تعليق

"أيام الشمس المشرقة" .. أحلام الهامش قرب المحيط

محمود عبد الشكور

على جدارية ضخمة، ترسم ميرال الطحاوي في روايتها "أيام الشمس المشرقة" ، الصادرة عن دار العين، ملامح بوتريهات إنسانية عميقة المعنى والدلالة، تعبر عن مأزق المهمشين المغتربين، تستقصي حكاياتهم، من الوطن الى الغربة، وكأنها تعوض تهميشهم، بحفر صورهم في كتاب، يشهد على المكان والزمان والبشر.

تترك الرواية تأثيرها بقوة نحت شخصياتها، وبحضور الجغرافيا والتاريخ الشخصي، وبازدواجية قراءة المأزق الإنساني، تهميشا واغترابا، وباندماج كل ذلك في بناء فني ، يعادل إحكام دائرة الجغرافيا، بين هضبة وعرة، ومحيط متسع، في الجنوب الغربي الأمريكي، فلا تجد الشخصيات مفرا من اللجوء الى الحلم، والتاريخ الكاذب المتوهم، أو الهروب والإختفاء، ولا تجد إلا الموت ، قتلا أو انتحارا.

ورغم كثرة الشخصيات، إلا أن حضور حكاياتها قوي ومميز، وبينما تبرز أسماء مثل نعم الخباز، وزوجها أحمد الوكيل، وصديقها سليم النجار، وصديقتها نجوى، وغريمتها ميمي دونج، فإنه يصعب الحديث هنا عن شخصية رئيسة، وأخرى ثانوية، فكل الشخصيات تقريبا، تلعب أدوارا محورية وعميقة، وامتداد التأريخ للشخصيات من الوطن الى المنفى، يجعل المأزق بحجم مكانين، وبطول عدة أزمنة، ويجعل الهروب مأزق جديد، فالمهمش هنا مهمش هناك، ومن تاه في مدينته، يتوه أيضا في مدن الآخرين.

يتعمق منهج التأريخ للشخصيات، وقراءة فكرة الاغتراب عبر نماذج إنسانية، من الوطن الى أمريكا، بعد أن قدمته ميرال في روايتها "بروكلين هايتس"، ولكنها تنتقل في روايتها الجديدة من الشرق الأمريكي الى الغرب الأمريكي، ومنطقة الشمس المشرقة، ليست مجرد منطقة عادية لتجمع المهاجرين، ولكن تشكيلها الجغرافي يوظف فنيا ببراعة: يقبع تجمع كبير وفقير في السفح، وفي القلب منه "سرة الأرض"، حيث أكثر المناطق تهميشا، وفي قمة الجبل ما يطلق عليه "الجنة الأبدية"، حيث منتجعات الأثرياء، وبينهما "هضبة سنام الجمل"، حيث يعيش عشاق الطبيعة، وبين الجبل والساحل، يوجد "الكوارتر"، بعالمه الخاص، وبانفتاحه على المحيط الواسع.

تحدد الجغرافيا الفوارق الطبقية والمعيشية أيضا، وتختار كل منطقة شخصياتها، الحركة من السفح الى الجبل محسوبة، والموقع على الحدود يجعل المنطقة منفذا لتسلل المهاجرين، برا وبحرا، وبينما تبدو الحياة صعبة في السفح، فإن المحيط على اتساعه لا يعد بالكثير، وتظل ذورة الجبل حلما بعيدا تعيش عليه شخصيات مثل سليم النجار، جنة أبدية لن تسكنها سوى امرأة عربية واحدة، هي العراقية الثرية اللاجئة علياء الدوري.

الجغرافيا في النص قوية ومسيطرة حتى في الوطن: نعم القروية البائسة في بلدها، لن تعرف مدينة البحر إلا كخادمة، وسليم يتشتت بين فلسطين ولبنان والعراق وسوريا، وأحمد الوكيل يأخذ المقابر معه الى أمريكا، وكأن الموت يسكنه هو، ولا يسكن المقابر، الجغرافيا جزء من قدر الشخصيات الثقيل، ولا يخفف من هذا القدر سوى تلك الأسماء الساخرة التي تتناقض مع الواقع، فليست هناك نعم ولا شمس مشرقة، و"سنام الجمل" و"سرة الأرض" عبارات براقة لا تكشف عن الظروف والأحوال، وحدها الجنة الأبدية هي الحلم، ولا تمتلك نعم إلا أن تقوم بتنظيف الجنة من فضلاتها، لا أن تعيش فيها.

من نجاحات الرواية ذلك الجمع السلس بين خصوصية ومحلية ظروف كل شخصية، وبين ظروفها الإنسانية، بل إن تلك الظروف العامة سرعان ما تجعلنا نكف عن السؤال عن جنسية كل شخصية، رغم أن كل هوية واضحة ومذكورة.

هذا نجاح فني مهم، لأن الخريطة ليست محدودة بمكان الغربة، ولكنها خريطة بحجم عالم الشخصيات، وتاريخهم، وإحباطاتهم، ومن هنا يتشكل مجتمع إنساني، وحلم عام، وتتقاطع أحزان مشتركة، ويبدو التاريخ الوهمي بأهمية التاريخ الحقيقي، مرويات نعم عن حياتها تتقاطع مع مرويات سليم النجار المختلقة، وانتحار جمال ابن نعم، يتقاطع مع غرق ميمي دونج، وأزمة نجوى المبعوثة المصرية في آشفيل، تتقاطع مع ضجر جون العجوز الأمريكي، وهروب أحمد الوكيل وابنه عمر، يتقاطع مع كل هروب واختفاء، بما في ذلك اختفاء القطة لوسي.

كل التفاصيل تلعب دورها المحدد في الجدارية، حتى أصوات كلب البحر المزعجة، في موسم التزاوج، وعند مولد الأطفال وفطامها، تجعل الألم قرينا للحياة في كل مراحلها، أما "حديقة الأرواح" فليست سوى مقابر بائسة تجمع عشرات المجهولين، وتتقاطع مع حكاية سليم النجار عن مهمته في الحرب الأهلية اللبنانية، عندما أوكلوا إليه تسليم جثث القتلي لذويهم، لم يصل الى العناوين، بعد أن غيرت الحرب معالم الشوارع، فألقى الجثث في أماكن النفايات، وعاد قبل أن ينفد وقود سيارته.

هي إذن جدارية الهامش في كل مكان، الغربة تبلورها فقط وتكثفها وتلونها بألوان الجنسيات، والحكاية التي تبدأ بانتحار ابن نعم المتمرد والمدمن، تنتهي بسفينة جديدة لا يسمح لها بالدخول، ولا يستطيع مهاجروها النزول الى الشمس المشرقة، فتلجأ الأمهات الى أغرب تصرف مع أطفالهن، مما يعني أن الحكاية بلا نهاية، وأن ثنائية التهميش والإغتراب لن تتوقف، وأن معاناة الوطن، ستنتقل مع الشخصيات الى العالم الجديد,

ربما كان هناك استطراد في بعض حكايات أحمد الوكيل ونجوى في الوطن، و ربما أدى إغراء الشخصيات وظروفها الى تفاصيل وتفريعات، كان يمكن تضفيرها فنيا بشكل أفضل في النص، ولكن ميرال الطحاوي كانت تعرف دوما كيف تعيد الشخصيات الى عالمها الجديد، وكيف تدفع الأحداث الى الأمام بقدر معلوم: نعم مثلا تتجاوز الموت، وتحلم بزوج جديد، وتصبح لديها شاحنة، ومشروع للتنظيف، وميمي ينكشف عالمها، وتظهر أسرارها تدريجيا، ونجوى تنتقل من الشمال في آشفيل الى الجنوب الغربي، ولكن لايحدث أبدا تغيير جذري، وكأن الشخصيات تدور في دائرة مغلقة، لا يمكن أن تتجاوزها.

"أيام الشمس المشرقة" شهادة لامعة عن مرارة الخبز في المنافي، وفي الأوطان على حد سواء، بين جبل الفقر الراسخ، وأحلام هائلة لا تتحقق، بحجم المحيط.